

تعليم اللغة العربية لغير المختصين بها في الجامعات: الكليات الطبية أنموذجاً. أ.د. راتب سكر
مقدمة:

تفتح الصلات الإجرائية الطويلة بتعليم اللغة العربية لغير المختصين بها في المعاهد والجامعات، أمام المعنيين بها^١، أبواب خبرات ميدانية يمكن لاستقراء جوانب من عثراتها وإخفاقاتها ونجاحاتها رفد البحث الجاد في تجديد الأسس المنهجية والإجرائية لهذا التعليم المرتبط ارتباطاً جوهرياً متشعباً بمجموعة من المكونات الأصيلة للتعليم الجامعي في ميادين الاختصاصات المختلفة.

تفرض الحدود المنهجية لكل بحث يتوخى العلمية والموضوعية، ترسيم ما يتناوله من مشكلات وقضايا، توصيفاً وتحليلاً وتقييماً، ترسيماً محكوماً بعوامل شتى من أبرزها الخبرات الفعلية للقائمين به، حتى لا يؤخذ منهج نقدهم لظواهر موضوعاتهم، بجريرة "ما ابتلي به منهجُ بعض الباحثين ونقادِ اللغة من حبّ التغليف والقول بغير علم"^٢. (بحسب قول د. عبد الناصر إسماعيل عساف). وجهت هذه الرؤية مكونات البحث إلى ظواهر متصلة بركنين جوهريين من أركان تعليم اللغة العربية لغير المختصين بها في كليات الجامعات، ولاسيما الكليات الطبية، هما: الكتاب الجامعي، والطالب المتلقي، وما يتصل بتفاعلهما، الذي شكل لخبرات هذا البحث مختبراً إجرائياً طوال سنوات من العمل الجاد في هذا المضمار، تدريساً وإشرافاً^٣، و"من الطبيعي أن يكون المعني بلغة ما مهموماً بمشكلاتها، بدوافع مختلفة، وفي مقدمة ذلك الفضول العلمي..."^٤.

أ، ضرورات البحث في تعليم اللغة العربية لغير المختصين بها في الجامعات ومشكلاته:
إن التفكير في تجديد الأسس المنهجية والإجرائية لتعليم اللغة العربية لغير المختصين بها في الجامعات، ينسجم مع الإيمان بدور اللغة في نهضة المجتمعات، وقد قدمت مسارات اللغة العربية على

^١ كنت واحداً من أولئك العاملين المعنيين في هذا المضمار، مدرسا وإدارياً، طوال ثلاثين سنة.

^٢ عساف، د. عبد الناصر إسماعيل، ٢٠١٧- من صحيح القول وفصيحه، ألفاظ وأساليب أثير حولها غبار. الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، (٦٣ص). ص ٥.

^٣ شغل كاتب هذه الكلمات مهمة رئاسة قسم اللغة العربية المعني بمتابعة تدريس اللغة العربية لغير المختصين بها في الكليات الجامعية، غير مرة، سنوات طويلة في جامعات: صنعاء والبعث وحماة وفرع جامعة دمشق في السويداء، ودرّس اللغة العربية في بعض كلياتها الطبية، كما درسها في الكليات الطبية من جامعة الشام الخاصة.

^٤ فلفل، د. محمد، ٢٠١٣- أضواء على المشكلة اللغوية العربية. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (٢٦٥ص). ص ٥.

مدارج التاريخ أمثلة باهرة في هذا المضمار، "على أن الإيمان بقدرة العربية وكفاءتها يجب ألا يجعل المرء يغفل عما ألمّ بها عبر تاريخها المديد من مشكلات".^٥

يستطيع الدارس أن يجد في كتب التراث العربي أخبارا وقصصا كثيرة عن المشكلات التي ألتمت باللغة العربية عبر تاريخها، ولاسيما مشكلة ضعف مستوى الثقافة اللغوية في المجتمع العربي، على مدارج التاريخ، حتى يجد في القرن الخامس الهجري بداية تدهور جديد في هذا المضمار، فيذكر أبو زكريا التبريزي (٤٢١-١٠٣٠/١٥٠٢-١١٠٩م)، "الذي ظل عشرات من السنين أستاذا للعربية في مدرسة الدولة الأولى: المدرسة النظامية ببغداد، التي تأسست سنة ٤٥٩هـ.. في مقدمة أشهر كتبه: "شرح ديوان الحماسة"، كيف اهتدى إلى التفكير في شرح هذا النص... وتبين مقدمة التبريزي المشار إليها أن طلاب العلم، في أول مدارس الدولة العليا، لم يكونوا بحالة تسمح لهم بفهم الأشعار الفصيحة دون شرح أولي".^٦

إن اهتمام التبريزي الأستاذ في المدرسة النظامية بموضوعي: التعليم واللغة، والصلات الوشيحة بينهما، ظل يجدد أدواته ورواه وأساليبه، في مسارات التعليم، حتى بلغ في العصر الحديث مكانة من الجدية والمسؤولية، جعلت من ذنك الموضوعين محورا جادا للمؤتمرات العلمية في مجامع اللغة العربية والجامعات وغيرها.

ب، كتب تعليم اللغة العربية لغير المختصين بها في الجامعات:

ينطلق تأليف الكتب الجامعية من مجموعة من الروائز والمعايير، يمكن الوقوف على أبرز عتباتها بتوصيف بعض نماذجها المختصة بميادين هذا البحث، وتحليله وتقييمه، وقد عنيت هذه الدراسة بثلاثة نماذج منها، اهتم واحد منها بتعليم اللغة العربية لغير المختصين بها في ست كليات جامعية غير طبية، واهتم النموذجان الباقيان بتعليم اللغة العربية في الكليات الجامعية الطبية.

١، كتاب "اللغة العربية، لغير المختصين، لطلاب كليات الآداب والعلوم الإنسانية والاقتصاد والحقوق والشريعة والتربية والمعهد العالي للعلوم السياسية"^٧،

جاء الكتاب في سبع وعشرين وثلاثمئة صفحة، متضمنا اثنين وثلاثين نصا أدبيا، جاء اثنا عشر نصا منها في القسم العام، وعشرون نصا منها في القسم الخاص. كما تضمن الكتاب سبع عشرة موضوعا

^٥ فلفل، د.محمد، ٢٠١٣- أضواء على المشكلة اللغوية العربية. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (٢٦٥ص). ص ٥.

^٦ فك، يوهان، ١٩٥١- العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب. ترجمة د.عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي، القاهرة، (٢٩٠ص)، ص ٢١٠.

^٧ جطل، د. مصطفى، وزملاؤه: د.صلاح كزار، د.سامي عوض، د.أحمد معاينة، ٢٠١١- اللغة العربية، لغير المختصين، لطلاب كليات الآداب والعلوم الإنسانية والاقتصاد والحقوق والشريعة والتربية والمعهد العالي للعلوم السياسية. مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، (٣٢٧ص).

لغويا رئيسا، تسم سعة التناول والتنوع قسما منها مثل مباحث: "العدد، أخطاء شائعة، المصطلح العلمي، المعجم" التي تتوزع على نحو مئة صفحة، فضلا عن موضوعات لغوية فرعية متنوعة. من المفيد التذكير بأن الكليات الجامعية تخصص لدراسة "اللغة العربية لغير المختصين" ساعتين أسبوعيا، في فصل دراسي واحد، ويوزع المدرس عادة الموضوعات الأدبية واللغوية على تينك الساعتين، مناصفة، مما يعني اضطراره إلى اختيار اثني عشر نصا أدبيا من اثنين وثلاثين نصا أدبيا يضمها قسما الكتاب العام والخاص، وإذ يجد أن دينك القسمين يضمن ستة نصوص دينية، وأربعة نصوص سياسية وطنية وقومية، تضيق أمامه فرص اختيار اثني عشر نصا لتدريسها في اثني عشر ساعة، كما تضيق أمامه فرص اختيار يعدل بين الخاص والعام.

تكاد الموضوعات اللغوية الرئيسية والفرعية تواجه صعوبات مماثلة، فهي تشمل نحو نصف صفحات الكتاب، في تنوعها وثرائها، مما يجعل المدرسية أمام حيرة بالغة في تنفيذ اختياراتهم منها. ومن المقترحات القابلة للمناقشة في مواجهة هذه المشكلات:

١، ١، التحرر من مهمة الغايات التعليمية للكتاب، في جمعها بين ست كليات جامعية، في الوقت الذي يحتاج فيه بعضها، ولاسيما كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تقسيما إلى ست كليات جامعية. إن مثل هذا الجمع يفتح شهية التنوع في الموضوعات الأدبية والفكرية، وما يتصل بها من نماذج وأمثلة نصية عميقة الارتباط بالتوجهات الفكرية والاختصاصية: أدبا ولغة.

١، ٢، التخفف من حدة حضور النصوص والموضوعات الدينية والسياسية المباشرة، وسطوتها النفسية والعقائدية، على حضور النصوص والموضوعات المتصلة بالاختصاصات العلمية في الكليات الجامعية، نظرا لأهمية ما يتصل بالاختصاص في تعزيز التفاعلية المثلى بين الطالب الجامعي وتعلم اللغة العربية. ١، ٣، الحد من عدد النصوص الأدبية، الفائضة عن قدرات الجداول الزمنية للتعليم الجامعي، باختيار ما يتصل منها باختصاصات الكليات الجامعية التي وضعها مؤلفو الكتاب في غايات تأليفهم العلمية، إذ تبين بالخبرات العملية أن الطلاب الجامعات يتفاعلون تفاعلا أمثل مع النصوص الأدبية المتصلة باختصاصاتهم العلمية في الجامعات اتصالا حميما محققا بموضوعاتها أو بشخصيات مؤلفيها، كما يجدون فرصة مثلى لفهم الموضوعات اللغوية التي تستلهم في أمثلتها الإجرائية نماذج قريبة من اختصاصاتهم العلمية تلك.

١، ٤، الحد من الاعتماد على حرية المدرس في اختيار النصوص من الكتاب المتضمن أكثر من ثلاثة أضعاف الحاجة التعليمية زمنيا ومنهجيا، فمثل هذه الحرية في الاختيار قد تبتعد عن تحقيق دقة التوفيق بين الاختصاص العلمي للطالب في كليته والموضوعات المختارة، وتحمل المدرسين مسؤولية

فائضة لدى إقرارهم ما يعتمد وما يحذف من النصوص الأدبية المتصلة بالقضايا الدينية والسياسية، والموضوعات اللغوية وأمثلتها المتصلة بتلك القضايا.

١، ٥، التخفف من الطوابع الشمولية والكلية في إعداد كتب تعليم اللغة العربية لغير المختصين بها في الجامعات، تلك الطوابع التي ظلت غاية محل اعتزاز لدى غير مؤلف وباحث في التأليف الأدبي واللغوي، بمثل قول أ.محمد الأنطاكي (١٩٢٨-١٩٨٦) عن كتابه "المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها": "الكتب التي درست العربية كثيرة، وفي كل منها ميزات، لكن هذا الكتاب يمتاز من بينها بأنه قد توافر له من الميزات ما لم يتوافر لغيره: فهو قد جمع في أجزائه الثلاثة كل قواعد العربية، الصوتية منها والصرفية والنحوية... إلخ"^٨.

٢، كتاب "اللغة العربية، لغير المختصين، الكتاب الخامس لأقسام الطب والصيدلة وطب الأسنان والبيطرة وما إليها"^٩.

في ضوء روائز ومعايير مقترحة، تستنبط استنباطا مباشرا من خبرات إجرائية تدريسية في الكليات الجامعية الطبية، والإسهام في تأليف كتاب^{١٠} تعليمي تعليم اللغة العربية لغير المختصين في هذه الكليات، يمكن عرض هذا الكتاب - النموذج، توصيفا وتحليلا وتقييما، عرضا يساعد على صياغة جملة من المقترحات القابلة للمناقشة، في الدعم النظري والإجرائي لدراسة تعليم اللغة العربية في الكليات الطبية، وتجديد مكوناته هذا التعليم، ولاسيما كتبه ومناهجه.

٢، ١، صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٧، قبل عشرة أعوام من عام ١٩٩٧، الذي يؤرخ صدور النسخة التي اعتمدت في هذا السياق، اعتمادا لوحظ معه أن مقدمة د.حسام الخطيب للكتاب أضمرت بتوقيعه مرفقا بتاريخه الإشارة إلى تاريخ إصداره الأول عام ١٩٨٧. ومن الملاحظ أن هذا النهج في إعادة طبع كثير من الكتب الجامعية المعنية بتعليم اللغة العربية لغير المختصين تغفل الإشارة إلى تاريخ طبعتها الأولى، وطبعتها المتلاحقة، قاعة بذكر تاريخ الطبعة الجديدة فقط.

٢، ٢، ثمة ملاحظة ثانية تتصل بمضمار طبع هذه الكتب، تتوقف على إشارتها إلى الجامعة التي طبعت مديرية منشوراتها الكتاب، مغفلة الإشارة إلى صلاته بالجامعات الأخرى التي شاركت في تأليفه، واعتمده مقررًا تدريسيًا لطلابها. والكتاب الذي تعنى بمتابعته أنموذجا هذه الكلمات تتصدر غلافه عبارة

^٨ الأنطاكي، محمد، ١٩٧٥- المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها. ط٢،، مكتبة دار الشرق، بيروت، ج١(٣٧٣ص)، ج٢(٣٦٩ص)، ج٣(٤٠٠ص)، ص الغلاف الأخير من كل جزء. (الطبعة الأولى ١٩٧٢)

^٩ الخطيب، د.حسام، ١٩٩٧- اللغة العربية، لغير المختصين، الكتاب الخامس لأقسام الطب والصيدلة وطب الأسنان والبيطرة وما إليها. منشورات جامعة تشرين. (٢٢٧ص).

^{١٠} جطل، د.مصطفى، ود.صلاح كزار، ود.راتب سكر، ود.جودت إبراهيم، ٢٠١٤- اللغة العربية لغير المختصين، لطلاب كليات الطب وطب الأسنان والصيدلة والطب البيطري والتمريض والرياضة والريضة البدنية. منشورات جامعة حلب، (٣٣٣ص).

"منشورات جامعة تشرين"، وتضم أسماء مؤلفيه: د.حسام الخطيب، ود.نشأت الحمارنة، ود.أحمد زياد محبك، وأ.محمود فلاحه، وجود اسمي جامعتي دمشق وحلب، كما تبدو عبارة "الأقسام الطب والصيدلة وطب الأسنان والبيطرة وما إليها" التي تصدر الغلاف، غير دقيقة علميا وإداريا، لأن الكتاب معد لتدريس طلبة الكليات عامة، غير مقتصر على طلبة أقسام منها، كما تضم هذه العبارة حقيقة اعتماد الكتاب لتدريس طلاب الكليات الطبية في الجامعات السورية من دون التخصيص الذي توحى به عبارة "منشورات جامعة تشرين" من دون توضيح يتبعها.

٢، ٣، حمل عنوان الكتاب الرئيس عبارة "اللغة العربية لغير المختصين"، لكنه خلا من الموضوعات اللغوية، مقتصر على نصوص أدبية وعلمية، وقد يلتبس قارئه بعض العذر لهيمنة تلك النصوص فيه، بتفسير ما تضمه عبارة "اللغة العربية" من نص غائب، باستذكار التسميات العلمية الكاملة لأقسام اللغات العربية والأجنبية في الجامعات، مثل قسم اللغة العربية وآدابها وغيره، لكن مثل هذا التفسير يبقى قاصرا عن تسويغ غياب الموضوعات اللغوية من الكتاب، وقد يكون مفيدا في حالة تغييب النصوص الأدبية، لكنه من الأهمية بمكان في ترسيم رؤية منهجية متوازنة في هذا المضمار.

٢، ٤، حملت الصفحة الأولى من الكتاب مصطلح "تأليف" قبل أسماء مؤلفيه: د.حسام الخطيب، ود.نشأت الحمارنة، ود.أحمد زياد محبك، وأ.محمود فلاحه، بينما حملت الصفحات الأولى الثلاث التي سبقت أقسام الكتاب الثلاثة، مصطلح "إعداد" قبل أسماء أولئك الكرام، وقراءة الكتاب تبين أن نصوصه الأدبية والعلمية جمعت بمنهج الاختيار، فهي مختارات أدبية وعلمية من مؤلفات أدباء وعلماء قدامى ومحدثين، مما يفسر ثنائية مصطلحي "التأليف" و"الإعداد"، لدى أصحاب الكتاب الكرام أمام.

٢، ٥، تضمن الكتاب عشرين فصلا، اشتملت على نحو خمسين نصا شعريا ونثريا وعلميا، متفاوتة في حجومها، معظمها بين ثلاث وسبع صفحات، فإذا تذكر المرء أن تدريس هذه النصوص موزع في نحو اثنتي عشرة ساعة، أدرك أن منهج الحذف والاختيار سيحكم عملية التدريس، حكما ذا عيوب، أقلها تشتت وحدة العملية التدريسية بين مدرسي المقرر في الكليات المتماثلة، والكليات الطبية عامة.

٢، ٦، توزعت فصول الكتاب ونصوصها، بين ثلاثة أقسام، جاء القسم الأول في أربعين صفحة، متضمنا ست قصائد، ونصين نثريين يعرفان بموضوعين متصلين بالعلوم الطبية. تتالت هذه القصائد، وتبعهما النصان النثريان، من دون أية إشارة إلى تبويبها بعد المفتاح العام الذي حمل عنوان: "القسم الأول: أشعار وأدبيات طبية"، مع إشارة بعد عناوين نصوصها الثمانية في مفتاح القسم إلى معيها بعبارة: (إعداد: الخطيب، محبك، فلاحه). ويلاحظ القارئ أن الإعداد المشار إليه، يكاد يقتصر على وضع عدد من الأسئلة التعليمية بعد كل نص، بعد اختيار قصائد، أو أبيات أو مقاطع من قصائد، متصلة بالمرضى

ومعاناته آلام أمراضهم، نصفها من الشعر العمودي، ونصفها من شعر التفعيلة، لسته شعراء، خمسة من المحدثين، وواحد من القدامى. واختيار موضوعين لكاتبين محدثين، عرف الأول "بالشيخ الآمدي الذي سبق براى"، وعرف الثاني بالمجلة الطبية العربية.

خلا نشر القصائد من توثيق مناسب، فلم يذكر المعدون المراجع التي استقوا منها هذه القصائد، كما خلا القسم الأول عامة من نماذج توثيق المراجع والاستشهادات، مما يضيع على الطلاب فرصا نظرية وإجرائية، للاطلاع "على مجموعة من القواعد العامة المتعلقة بصياغة الاستشهادات المرجعية داخل النص، وكتابة المراجع في نهاية النص"^{١١}. والقصائد ظلت مفتقرة إلى شروح مباشرة أو غير مباشرة مناسبة لمكوناتها الفنية والفكرية، وإلى تعريف مناسب بأصحابها. يسهم مثل هذه الشروح، ومثل هذا التعريف، في تقريب المسافات بين نصوص شعرية مركبة البنى والطلاب الذين يدرسون اللغة العربية لغير المختصين، ومدرسيهم.

٢، ٧، جاء القسم الثاني مثل سابقه، في أربعين صفحة، متضمنا خمس موضوعات نثرية علمية، اجتهد مؤلفوها المعاصرون في التعريف بجوانب من عطاء العلماء العرب القدامى بقضايا متصلة بالعلوم الطبية. وقد خلا فهرس الموضوعات من أي مصطلح متصل بتبويبها، مثل فصل أو باب، فالموضوعات تتالى عفو الخاطر.

حمل مفتتح هذا القسم فهرسا بعناوين الموضوعات الخمسة وأسماء مؤلفيها، ذيل بعبارة: "إعداد د. أحمد زياد محبك". وهذه الإشارة المهمة بمصطلح "إعداد" من الأهمية بمكان، إذ تسهم في تدريب الطلبة تدريباً غير مباشر، على موضوعية علمية، تترفع عن ادعاء الحق في ملكية ما ليس لها.

يغلب على موضوعات هذا القسم الاندفاع في ميادين علم الأمراض، مما يرخي بسدول تبعده عن الغاية العلمية الجوهرية للكتاب، وهي تعليم اللغة العربية، وما تحتاجه من محفزات علمية وفنية وثقافية متنوعة، فالموضوع الطبي غير مقصود لذاته، فثمة وظائف متنوعة له في هذا السياق، من أبرزها شد انتباه الطلاب، وإثارة حماسهم نحو تعلم اللغة العربية، أما علم الأمراض وتاريخ الطب فهما في المحل الثاني، والمحل الأول للغة العربية، التي تفرض تعديد كل ما عداها ليماشي مناهجها.

٢، ٨، جاء القسم الثالث في نحو أربعين ومئة صفحة، ليشكل القسم الرئيس والأساس في الكتاب، قياساً على حجم كل من القسمين السابقين في أربعين صفحة فقط. وهذه المفارقة في حجوم الأقسام غير مسوغة منهجياً وعلمياً.

^{١١} زياد، ديسرية عبد الحليم، ٢٠١٠- الاستشهادات المرجعية في الأبحاث والرسائل. مكتبة الإمام البخاري. القاهرة. (٤٧ص). ص ٩.

تضمن هذا القسم سبعة فصول، حوى كل منها نصا تعريفيا بعلم من أعلام الطب القدامى، ونصا أو أكثر من مؤلفاته، أو مما كتب عنها. تضمن مفتاح القسم فهرسا لفصوله السبعة، وما ضمته من نصوص بلغت ستة وعشرين نصا، وقد ذيل الفهرس بعبارة: "إعداد: نشأت الحمارنة. مراجعة: حسام الخطيب، محمود فلاحه".

كان اسما الفاضلين: نشأت الحمارنة وحسام الخطيب قد وردا في مفتاح الكتاب، مسبوقين بحف الدال الدال على لقب دكتور، وتحررا في مفتاح هذا القسم من الإشارة إلى اللقب العلمي، مما أفقد سياق تداول أسماء مؤلفي الكتاب، الانسجام، وجاءت المفارقة في ثنائية مصطلحي: "التأليف" و"الإعداد"، بين مفتاح الكتاب، ومفتاح كل قسم من أقسامه، لتغيّب بعض ملامح انسجام مكونات الكتاب، حتى إذا وازن القارئ المتابع بين موضوعات أقسام الكتاب، شعر بغياب ملامح أخرى من مكونات انسجام الكتاب، مما يبين مكانة هذا الانسجام معرفيا ومنهجيا في تأليف

كتب تدريس اللغة العربية لغير المختصين، لتعليم اللغة العربية في الجامعات.

٢، ٩، هيمنت على موضوعات الكتاب الغايات المعرفية والتعليمية لتاريخ الطب، وعلم الأمراض الجسدي والنفسي والاجتماعي، وضعف الاهتمام بقضايا اللغة والأدب، ويمكن القول إن الاهتمام بقضايا اللغة قد غاب، وظل حضور الاهتمام بقضايا الأدب خجولا. ومن الراجح أن تذكر تتضافر الغايات المعرفية والمنهجية في تأليف كتب تدريس اللغة العربية لغير المختصين، يرفع صوته عاليا في هذا المضمار.

٣، "اللغة العربية لغير المختصين، لطلاب كليات الطب وطب الأسنان والصيدلة والطب البيطري والتمريض والرياضة والريضة البدنية"^{١٢}.

ثمة روائز ومعايير مقترحة، تستنبط استنباطا مباشرا من خبرات شخصية إجرائية تدريسية في الكليات الجامعية الطبية، والإسهام الشخصي في تأليف القسم الاختصاصي الطبي من هذا الكتاب، الذي تألف من قسمين: عام واختصاصي، شأنه في هذا التقسيم شأن غيره من كتب تدريس اللغة العربية لغير المختصين، المعتمدة في الجامعات السورية الرسمية منذ عام ٢٠٠١.

٣، ١، ثمة خطأ غير مقصود غالبا، هو تكرار كلمة "الرياضة" في عنوان الكتاب المتكرر على غلافه الخارجي، ومفتحه في الصفحة الأولى منه. ولما كانت طبعة هذه النسخة التي تعتمد في هذا السياق تصدر بعد الطبعة الأولى له، متكررة مرات عدة منذ عام ٢٠٠١، حتى عام ٢٠١٩، فإن الخطأ غير المقصود هذا، يصبح مؤشرا إلى ضرورة استحضار الدقة العلمية عالية الأداء، في هذا المضمار.

^{١٢} جطل، دمصطفى، ودصلاح كزارة، ودراتب سكر، ودجودت إبراهيم، ٢٠١٤- اللغة العربية لغير المختصين، لطلاب كليات الطب وطب الأسنان والصيدلة والطب البيطري والتمريض والرياضة والريضة البدنية. منشورات جامعة حلب، (٣٣٣ص).

٣، ٢، جاء الكتاب في ثلاث وثلاثين ومئتي صفحة، خصص منها مئتا صفحة ونيف، للقسم العام غير الطبي، وخصص ثلاث عشرة ومئة صفحة للقسم الاختصاصي الطبي. تضمن القسم العام اثني عشر نصا، عشرة منها قصائد لشعراء قدامى ومحدثين، ونصين دينيين، افتتح أولهما الكتاب بعنوان: "آيات من القرآن الكريم"، وجاء الثاني بعنوان "من الحديث الشريف". كما تضمن هذا القسم العام سبعة عشر موضوعا لغويا رئيسا، فضلا عن موضوعات لغوية فرعية متنوعة. أما القسم الخاص الطبي، فقد تضمن في أربعة فصول نحو عشرين نصا متصلا بموضوعات الطب والمرضى والأمراض وعلاجها، قديما وحديثا.

بلغ عدد نصوص ومباحث الكتاب الأدبية: شعرا ونثرا، والعلمية، واللغوية، خمسين نصا ومبحثا، متفاوتة الحجم، فمبحث العدد في أربع عشرة صفحة، ومبحث المصطلح العلمي في خمس عشرة صفحة، ومبحث المعجم في ثلاث وعشرين صفحة. وقد يبلغ مجموع ما خصص لموضوعي المصطلح والمعجم في القسم الأول ستا وستين صفحة.

يلاحظ أن حجم نصوص الكتاب مباحثه البالغة نحو خمسين نصا ومبحثا، يفوق القدرات الإجرائية لتدريس مقرر اللغة العربية لغير المختصين في اثني عشرة محاضرة جامعية، مما يضطر مدرسي المقرر إلى الحذف والاختيار، حذفًا واختيارًا محكومين برؤية كل مدرس، مما قد يعرضه لمساءلة الإدارات المعنية استفسارا وتفسيرا لأسس حذفه واختياره. ومن الراجح أن التخفف من عدد النصوص والمباحث من الأهمية بمكان، في هذا المضمار.

٣، ٣، العدد الكبير لنصوص كتاب اللغة العربية لغير المختصين في الكليات الطبية ومباحثه، وتنوع حجوم تلك النصوص والمباحث، وموضوعاتها، باستدعائه ضرورة الحذف والاختصار، يثير أسئلة مشروعة حول تعديل موضوعاتها، تعديلا يماشى مقتضى الحال. وقد بينت الخبرات الإجرائية في هذا المضمار أن مستوى التفاعلية بين الطلاب وتدريس اللغة العربية لغير المختصين بها في الكليات الطبية، يتناسب طردا مع تنامي الصلات المعتدلة المتنوعة: اجتماعيا وثقافيا وفنيا وعلميا، لموضوع الدرس بالاختصاص الطبي.

٣، ٤، يحمل عنوان هذا الكتاب المخصص لطلاب الكليات الطبية، توجهها إلى ست كليات، تنامي عدد طلابها في الجامعات الرسمية والخاصة منذ تأليف هذا الكتاب قبل عشرين سنة، تناميا يسمح بطرح توجه جديد يسمح بتخصيص كل كلية طبية بكتاب خاص، يعزز تفاعلية الطلبة مع كتبهم وموضوعاته، فقد لوحظ إجرائيا أن مستوى تفاعلية طلاب كلية طب الأسنان يتعزز مع موضوع كتاب "في حفظ الأسنان واستصلاحها" وسيرة مؤلفه حنين بن إسحق (١٩٤ - ٢٦٠هـ)، بينما يتعزز نظير هذا المستوى

لدى طلاب كلية الصيدلة مع موضوع تتلمذ حنين لأبيه إسحق (٢١٥ - ٢٩٨هـ/٨٣٠-٨١٠م) الصيدلاني، أو موضوع أبي الريحان البيروني (٣٦٢هـ - ٤٤٠هـ/٩٧٣م - ٤٨٠م) وصلاته بعلم الصيدلة.

٣، ٥، يحمل عنوان الكتاب عبارة "الغير المختصين"، لكن الموضوعات اللغوية، تنزع فيه، كما تنزع في غيره، إلى تعمق لغوي اختصاصي يضعف مستوى التفاعلية مع الطلاب، مما يستدعي توجيهها حاضرا ومستقبليا إلى تبسيط يعزز ذلك المستوى، من دون خسران الغايات الجوهرية في هذا المضمار، وقد تنبه المشتغلون على علوم النحو والصرف أهمية مثل هذا الاستدعاء، فظهرت كتب يمكن الإفادة منها في تعزيزه، منها كتاب د. وليد السرايبي "قواعد الصرف المبسطة: بحوث وتطبيقات"^{١٣}، وقد بين مؤلفه في مقدمته أسسا للكتاب يمكن الإفادة منها منهجيا في مضمار تأليف كتب اللغة العربية لغير المختصين بها، منها: "بعده عن الشواذ من الأمثلة الصرفية... وجمعه أكثر القضايا الصرفية التي يحتاجها الدارس لاكل مسائله".

٣، ٦، يلاحظ أن النصوص المختارة من مؤلفات أطباء وعلماء قدامى، تجد مستوى متدنيا من التفاعلية مع الطلاب، قياسا على نصوص مماثلة، أعيدت صياغتها بلغة مبسطة توائم المستويات اللغوية والأدبية الفعلية للطلاب، ورؤية علمية توائم المستويات العلمية الفعلية للطلاب في مضمار كل مبحث.

٣، ٧، كان لاستلهاج التجربة الطبية العربية في تفاعلها مع نظيرتها لدى الإغريق، في كتب تدريس اللغة العربية في الكليات الطبية تأثير مفيد، يمكن التوسع به في التفاعل مع الآداب العالمية وترجماتها إلى العربية، فقد لوحظ أن كثيرا مما قدمته تلك الآداب في هذا المضمار يجد استقبالا طيبا ومفيدا لدى الطلاب، يمثل تفاعل عينات منهم مع ما كتبه الطبيب الأديب الإنكليزي سومرست موم (١٨٧٤ - ١٩٦٥) عن سيرة الأديب الفرنسي أونوريه دو بلزك (١٧٩٩ - ١٨٥٠م) وروايته "الأب جوريو": "في عدد من رواياته يظهر طبيب مخلص، ماهر، يدعى "بيانشون Bianchon" وقد قال بلزك وهو يحتضر: استدعوا بيانشون، إن بيانشون سينقذني"^{١٤}. إن الإفادة من تاريخ الطب عند العرب في تأليف كتاب اللغة العربية لغير المختصين بها في الكليات الطبية، يمكن أن تستلهم مواقف المستشرقين وباحثي الحضارات العالمية استلهاها رقد كتاب فريد جحا "كتب أنصفت حضارتنا"، ولاسيما فصله الثالث بعنوان "تاريخ الطب العربي"^{١٥} بأمثلة باهرة، يمكن رقدتها بصور وأخبار متنوعة من تاريخ الطب في

^{١٣} السرايبي، د. وليد، ٢٠١١ - قواعد الصرف المبسطة: بحوث وتطبيقات. دار الإرشاد، حمص، (١٩٤ص). ص٤

^{١٤} موم، سومرست، ١٩٧٠ - عشر روايات خالدة. ترجمة سيد جاد، وسعيد عبد المحسن، ن، دار المعارف بمصر، القاهرة. (٢٢١ص). ص٥٧.

^{١٥} جحا، فريد، ١٩٧٧ - كتب أنصفت حضارتنا. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (٢٤٩ص). ص٤٦.

الحضارات المختلفة، وهو تاريخ ذائع في اللغة العربية: تأليفا وترجمة، بمثل كتاب "تاريخ الطب: من فن مداواة إلى علم التشخيص"^{١٦}.

نتائج:

يخلص متابع المناقشات السابقة، إلى مجموعة من النتائج المفيدة في التوجهات الحالية والمستقبلية نحو الارتقاء بتعليم اللغة العربية لغير المختصين بها في الكليات الجامعية، ولاسيما الكليات الطبية، تضاف إلى ما سبق في الفقرات السابقة منها:

١، التخفف من الجمع الواسع للكليات التي يتوجه كتاب اللغة العربية لطلابها، فإذا اتفق المهتمون والمعنيون على ارتباط مستوى التفاعلية بين الطلاب وموضوعات كتابهم، بصلات هذه الموضوعات الحميمة باختصاصهم الجامعي، تعززت فكرة زيادة دوائر تخصيص الكتاب، لاقتصار توجهه على كلية واحدة من كليات الجامعة.

٢، رقد موضوعات الكتاب في هذا المضمار، بما يتصل بموضوعات الاختصاص اتصالا متنوعا: قديما وحديثا، وعربيا وعالميا. إن مثل هذا التنوع يرفع وتائر التفاعلية في الأداء التدريسي، ويمنحه طاقات حيوية وثابة فوق عيوب الرتابة والركود، مزدانة بفضائل توسيع دوائر الآفاق المعرفية والعلمية.

٣، مراعاة الخصوصيات اللغوية لمراحل التاريخ وأزمنته، فاختيار نصوص طبية من العصر العباسي، يحمل مفارقات لغوية مؤسسة على الفرق بين لغة الطالب الجامعي المبسطة نسبيا، ولغة النصوص القديمة، مما يعزز فكرة كتابة توفيقية مناسبة.

٤، اختصار الموضوعات بما يماشى استيعاب الوقت المقرر لكل موضوع، فموضوع عن ابن سينا مثلا، يضع في غايات إعداده وتأليفه أن يقدم في صفحات قليلة محددة، مجموعة من العناصر المعرفية والسلوكية والقيمية المتصلة بسيرته ومؤلفاته، وهذه الغايات تفرض منهج اختصار النصوص، وإعدادها من جديد، كل مرة، بدلا من عرضها بمنهج التداعي العفوي الحر.

٥، التخفف من مظهر بداية العلم مع كل خطوة لمؤلف جديد، والإفادة الجادة من المصادر والمراجع المنجزة سابقا، في كل توجه لتأليف جديد، فبابا "علم المصطلح" و"المصطلحات الطبية" يمكن انكشافه على ما صدر متصلا بموضوعاتهما من كتب متنوعة، مثل كتاب د. ممدوح خسارة "علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية"^{١٧}.

١٦ سورنيا، جان شارل، ٢٠٠٢- تاريخ الطب: من فن المداواة إلى علم التشخيص. ترجمة د. إبراهيم البجلاتي، عالم المعرفة مايو ٢٠٨١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (٣٩٥ص).

١٧ خسارة، د. ممدوح، ٢٠١٣- علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية. دار الفكر، دمشق، (٣٥٩ص).

٦، التنوع بين الحاجات المنهجية إلى موضوعات متصلة بالاختصاص الدقيق للطلاب، والحاجات التوجيهية فكرياً وأخلاقياً ودينياً وسياسياً. وتحديد نسب الرشيدة في تفاعل تلك الغايات. وهذا ينطلق من تفهم الغاية الجوهرية لكتاب اللغة العربية لغير المختصين، في اتصالها بتنمية المهارات اللغوية والتعبيرية والأدبية والثقافية للطلاب، قبل أي اعتبارات أخرى.

قائمة المصادر والمراجع:

- الأنطاكي، محمد، ١٩٧٥ - المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها. ط ٢،، مكتبة دار الشرق، بيروت، ج ١ (٣٧٣ص)، ج ٢ (٣٦٩ص)، ج ٣ (٤٠٠ص)، ص الغلاف الأخير من كل جزء. (الطبعة الأولى ١٩٧٢)
- جحا، فريد، ١٩٧٧ - كتب أنصفت حضارتنا. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (٢٤٩ص). ص ٤٦.
- جطل، د. مصطفى، وزملاؤه: د.صلاح كزارة، د.سامي عوض، د.أحمد معاينة، ٢٠١١ - اللغة العربية، لغير المختصين، لطلاب كليات الآداب والعلوم الإنسانية والاقتصاد والحقوق والشريعة والتربية والمعهد العالي للعلوم السياسية. مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، (٣٢٧ص).
- جطل، د. مصطفى، ود.صلاح كزارة، ود.راتب سكر، ود.جودت إبراهيم، ٢٠١٤ - اللغة العربية لغير المختصين، لطلاب كليات الطب وطب الأسنان والصيدلة والطب البيطري والتمريض والرياضة والريضة البدنية. منشورات جامعة حلب، (٣٣٣ص).
- خسارة، د.ممدوح، ٢٠١٣ - علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية. دار الفكر، دمشق، (٣٥٩ص).
- الخطيب، د.حسام، ود.نشأت حمارنة، ود.أحمد زياد محبك، وأ.محمود فلاح، ١٩٩٧ - اللغة العربية، لغير المختصين، الكتاب الخامس لأقسام الطب والصيدلة وطب الأسنان والبيطرة وما إليها. منشورات جامعة تشرين. (٢٢٧ص).
- زايد، د.يسرية عبد الحليم، ٢٠١٠ - الاستشهادات المرجعية في الأبحاث والرسائل. مكتبة الإمام البخاري. القاهرة. (٤٧ص). ص ٩.
- السرايبي، د.وليد، ٢٠١١ - قواعد الصرف المبسطة: بحوث وتطبيقات. دار الإرشاد، حمص، (١٩٤ص). ص ٤

سورنيا، جان شارل، ٢٠٠٢- تاريخ الطب: من فن المداواة إلى علم التشخيص. ترجمة د. إبراهيم
البيجلاتي، عالم المعرفة مايو ٢٨١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (٣٩٥ص).
عساف، د. عبد الناصر إسماعيل، ٢٠١٧- من صحيح القول وفصيحه، ألفاظ وأساليب أثير حولها
غبار. الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، (٦٣ص). ص ٥.
فك، يوهان، ١٩٥١- العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب. ترجمة د. عبد الحليم النجار،
مكتبة الخانجي، القاهرة، (٢٩٠ص)، ص ٢١٠
فلفل، د. محمد، ٢٠١٣- أضواء على المشكلة اللغوية العربية. اتحاد الكتاب العرب، دمشق،
(٢٦٥ص). ص ٥.
موم، سومرست، ١٩٧٠- عشر روايات خالدة. ترجمة سيد جاد، وسعيد عبد المحسن، ن، دار المعارف
بمصر، القاهرة. (٢٢١ص). ص ٥٧.